﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: ٦].

هذا هو أول مطلب يطلبه العبد من ربه سبحانه، وذلك بترتيب المصحف، فبعد ثناء الإنسان على ربه بما هو أهله، وبعد حمده وإجلاله وإعظامه وتمجيده، وبعد اعتراف العبد وإقراره أنه لا يستحق العبادة إلاّ الرب المعبود سبحانه، وبعد إعلان العبد لضعفه في أن يجلب لنفسه منفعة أو يدفع عنها مضرة، مُعلنًا أنه لا غنى له عن مدد ربه ومعونته.

فكان هذا المطلب الذي لا يقدر عليه سوى الرب سبحانه.

دعاء إجباري:

وهذا الدعاء كان من رحمة الله بعباده أنه أوجب عليهم أن يدعوا ربهم بهذا الدعاء ليلاً ونهاراً في بداية اليوم ونهايته، فمن اللحظة التي يفتح فيها الإنسان عينيه من نومه إلى نهاية يومه عندما يأوي إلى فراشه وهو لا يكل ولا يمل من هذا المطلب الذي يطلبه من ربه.

ومن رحمة الله تعالى أنه لم يكل هذا الأمر للإنسان، بل أوجبه علينا لما فيه من المصلحة البالغة، فمناط سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة موقوف على تحقيق هذا المطلب.

ولقد بيَّنَ رسولنا الكريم ﷺ أنَّ الدعاء هو العبادة، كما بيّنَ الله لنا ذلك، بل دعانا سبحانه أن لا نغفل عن دعائه، ولا نتقاعس عن ذلك، فقد توعّد سبحانه المتغافلين، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠ ﴾ [غافر: ٦٠].

أتدري كم مرة نطلب هذا المطلب من ربنا في يومنا؟

- ليس أقلّ من سبع عشرة مرة في اليوم والليلة:
- مرتان صباحًا (مع إدبار الليل وإقبال النهار) مع بداية الاستيقاظ من نومك ومع بداية استقبال المؤمن ليومه.
- أربعٌ وقت الظهيرة.
- أربع وقت العصر.
- ثلاث (مع إدبار النهار وإقبال الليل) مع بداية ليله.
- أربع في العشاء عند ظلمة الليل.

أتعي أيها العبد ما مطلبك؟

فبعدما أعلنت أن العبادة لا تستحق إلاّ لله تعالى، وبعدما أعلنت أنه لا استعانة إلاّ بالله، فطلبت من ربك المدد والمعونة على أن توفق لطاعته وعبادته.

كان المطلب:

اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم.

اللهم ارشدنا إلى هذا الطريق المستقيم.

لماذا كان هذا المطلب لا يُطلب إلاّ من الله تعالى؟

فربك وحده هو الذي يملك الهداية والإضلال وهو وحده الذي يهدي إلى الصراط المستقيم، فهو الملك لا ملك غيره، وهو المتصرف في شئون هذا الكون وهو المدبر لشئون عباده، وهو الملك، فقلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يُقلبها ويصرفها كيفما شاء، وهذا بيده وحده، لا يشرك في ذلك أحداً، فأيما قلب أراد الله أن يُقيمه على طاعته أقامه، وأيما قلب أراد الله أن يزيغه أزاغه.

فهو سبحانه لا يُسأل عمّا يفعل وهم يسألون ، فهو الملك.

فهداية العباد إلى الطريق المستقيم بيده وحده دون سواه، وينبغي أن تكون على يقين من ذلك ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٦) ﴾ [النور: ٤٦]، ﴿ مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٩) ﴾ [الأنعام: ٣٩].

صور من هداية الله لعباده:

■ نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) ﴾

[النحل: ١٢٠، ١٢١].

■ نبي الله محمد ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) ﴾ [الأنعام: ١٦١]، ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) ﴾ [الزخرف: ٤٣].

■ ولقد اختار الله لنا نبيه وحبيبه محمداً ﷺ؛ ليبين لنا كيف نسلك هذا الطريق المستقيم، ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٣) ﴾ [المؤمنون: ٧٣]. ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) ﴾ [الشورى: ٥٢].

ولذا قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقال سبحانه: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

لماذا أمرنا الله تعالى أن نقتدي بالنبي محمد ﷺ؟

لأنه ﷺ هو الهادي لطريق ربه المستقيم، وهو المرشد والداعي إلى صراط ربه المستقيم، ولقد دعانا الله تعالى إلى امتثال هذا الطريق المستقيم، وحذّر سبحانه من السبل التي ينحرف الإنسان من خلالها عن سبيل ربه المستقيم.

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

لراغبي السير في هذا الطريق المستقيم..

هناك مقومات تؤهلك للتوفيق إلى الصراط المستقيم، يقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ [النساء: ١٧٤، ١٧٥].

ويقول سبحانه: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

فعليك بالاعتصام بربك، ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠١].

- أتدري ما هي الحرب الدائرة بينك وبين الشيطان؟
- أتدري ما هو هدف الشيطان الاستراتيجي الذي يسعى إلى تحقيقه؟
- أتدري ما هو سبيل الشيطان لينفذ ذلك المخطط؟

إن العداوة بيننا وبين الشيطان عداوة محكمة، ولقد حذّر الله من اتباع الشيطان فيما يدعو إليه ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

فلقد بيّن الله لنا أن العبادة هي الصراط المستقيم - كما حكى لنا الله تعالى قول عيسى عليه السلام: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [مريم: ٣٦].

وهدف الشيطان الاستراتيجي الذي يسعى إلى تحقيقه ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** (٦) ﴾ [فاطر: ٦].

سبيل الشيطان ليُنفذ ذلك المخطط:

فإنه يقف لنا على رأس الصراط المستقيم لكي يصدنا ويبعدنا عن سبيل الله المستقيم، ولقد حكى الله لنا قول الشيطان ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** (١٦) **ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** (١٧) ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

هل من مرشد يرشدنا إلى هذا الصراط المستقيم؟

وهل من دليل يدلنا على هذا الصراط المستقيم؟

لقد بيّنَ لنا النَّبيُّ ﷺ أنَّ دليل الإنسان في سيره على صراط ربه المستقيم؛ ليتمثل في كتاب الله تعالى؛ ففي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ضرب اللهُ مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعا ولا تنفرجوا، وداعٍ يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه؛ إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله تعالى، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم**» [مسند الإمام أحمد (١٧٥٦٦)].

أعلمت الآن ما هو مرشدك ودليلك على هذا الصراط؟!

هذا كتاب الله قائدك في سيرك إلى ربك وإلى الدار الآخرة ﴿ **وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** (١٥٥) ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

ويكفيك وصف الجن لكتاب ربك الذي بين يديك ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

أوَقَفْتَ علَى ما تطلب فتعي ما تقول؟!.

فانا أطلب من ربي أن يهديني إلى هذا الطريق المستقيم محدداً في مطلبي صفة هذا الصراط، وهو طريق هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق من النّبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وكذلك أطلب من ربي أن يعصمني فلا يدعني أسير سير هؤلاء الذين انحرفوا عن الطريق من اليهود والنصارى وكل أهل الضلال الذين استحوذ عليهم الشيطان، فسلك بهم طريقًا غير طريق الأنبياء والمرسلين.

أوقفتَ الآنَ علَى طلبك أين تجده؟

في كتاب ربك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لذا كان في بداية سورة البقرة يُبين الله لنا كيف أن أهل التقوى اعتمدوا القرآن كمرشد لهم ودليل، وقائد في رحلتهم إلى الدار الآخرة، وقائدهم في سيرهم إلى ربهم المعبود ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢].

علامة هذه الآية (في طريقي في الحياة):

قبل أن أسلُكَ الطريق وأضع أولى أقدامي على بدايته أتفكر وأعي ما أقول، فانا أطلب من ربي هدايته إياىّ إلى هذا الطريق المستقيم، فهذا هو الطريق الموصل إلى الجنة، فقبل البدء في السير وقبل الجد في المسير انظر في قلبي أأقصد ما أقول، فقبل المضي مع الطريق لابد أن تأتي الإجابة من قلبي أنا فعلاً أقصد هذا المطلب من ربي، فعندها نقول: فلتمضِ متوكلاً على ربك رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين.

فهل تجد معلم هذه الآية في قلبك؟

وهل لديك من المقاييس والمعايير التي تقيس من خلالها مدى تأثير هذه العلامة في قلبك، فهذا المعلم قد نراه في القلب، ولكن هناك شواغل وشوائب وعلائق مازالت عالقة بالقلب تمنع من إبراز هذا المعلم في قلبك كانشغال الإنسان بدنياه، وانشغاله بماله وولده، وانشغاله بزوجه، وانشغاله بصحبة لا تعينه على الطريق .. فهذه قيود قد كبّلت الإنسان إلى السير نحو هذا الطريق بجدية وبعزم.

فلا سبيل إلا بتفريغ القلب تمامًا من أي قيد يمنع من تمكن هذا المعلم من قلبك.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) ﴾

[البقرة: ٢١، ٢٢]

هذا هو أول نداء ورد بترتيب المصحف، وكذلك هذا هو أول أمر ورد في كتاب الله بترتيب المصحف، وفي هذا النداء يُنادي الله تعالى على جميع الخلق، مؤمنهم وكافرهم، برّهم وفاجرهم، طائعهم وعاصيهم، حرهم وعبدهم، ذَكَرهم وأنثاهم.

يُنادي عليهم مبينًا المهمة التي خُلق الإنسان من أجلها ألا وهي عبادة الله رب العالمين ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ .

ولقد وضَّح الله ذلك في بيان الحكمة التي خلق الله من أجلها خلقه، فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

العبادة هي الطريق المستقيم الذي ننشده ونطلبه:

ونحن إذ نطلب من الله تعالى أن يهدينا ويرشدنا إلى صراطه المستقيم، فهذا الصراط يتمثل في العبادة؛ ولذا قال الله تعالى حاكيًا عن عيسى عليه السلام: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦) ﴾ [مريم: ٣٦].

ولذا حذر الله من اتباع الشيطان، فقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) ﴾

[يس: ٦٠، ٦١].

لماذا لا تصرف العبادة لغير الله تعالى؟

لأنه هو سبحانه الخالق الذي خلق الإنسان وصوّره في أحسن صورة، وهو الذي خلق السماوات والأرض ومن فيهن وما بينهما، فكل ما سوى الله مخلوق، ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٦].

فربي الذي أعبده هو الذي خلق الإنسان كما وصف لنا ذلك، قال تعالى: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ [الزمر: ٦]، وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ [الحج: ٥].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

فربي الذي أعبده هو الذي خلق السماوات والأرض، وهو خالق وموجد كل المخلوقات ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١] ، ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: ٦٢].

فربي الذي أعبده هو الخالق وما سواه مخلوق له مربوب له، فلا خالق غيره، فجميع السماوات والأرض ومن فيهن وما بينهما مخلوقات له محدثة كائنة بعد أن لم تكن .

فما حق الخالق علينا؟

فهل حقه أن نعبده وحده دون سواه أم نشرك معه غيره من مخلوقاته فنرفعها إلى مصاف الألوهية؟!

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا** (١١١) ﴾ [الإسراء: ١١١].

فهو سبحانه أكبر من كل شيء، فلتعظمه ولتجله، وذلك بذكرك لأوصافه والثناء عليه بأسمائه الحسنى فتحمده على محاسنه سبحانه، وتعظيمك وإجلالك لربك بعبادته وحده لا شريك له وإخلاص الدين كله لله.

ولقد قال النَّبيّ ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يُعذّب من لا يُشرك به شيئًا**».

فلا يكون إلهًا مستحقًا للعبادة إلاّ من كان خالقًا رازقًا مالكًا متصرفًا مدبرًا لجميع الأمور حيًا قيومًا سميعًا بصيرًا عليمًا حكيمًا موصوفًا بكل كمال، منزهًا عن كل نقص، غنيًا عما سواه وغيره فقير إليه محتاج إليه.

ولتلمس نعم الله عليك، ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٢].

ما المطلوب بعد تذكر نعم الله والتذكير بنعم الله علينا؟

﴿ **فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** (٢٢) ﴾ [البقرة: ٢٢].

ولقد نادى الله على جميع خلقه مذكرًا إياهم أنه هو سبحانه المتفرد بالخلق والإيجاد والرزق، فلا يُشرك معه في عبادته أحد ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ**

عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر: ٣].

ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

فهل من خالق غير الله يتكفل برزقكم؟

فإن اعترفنا وقلنا أنه لا خالق ولا رازق إلاّ الله فهو دليل وبرهان على ألوهيته ووجوب إخلاص العبودية له سبحانه، فكيف تُصرفون عن عبادة الخالق الرازق لعبادة مخلوق مرزوق، فإن قلنا لا يستحق العبادة إلاّ الله وحده لا شريك له، فكان لزامًا أن نتعرف على هذا الرب الذي نعبده، نتعرف عليه من خلال أفعاله، ومن خلال ما تسمَّى به من أسمائه الحسنى، ومن خلال أوصافه سبحانه.

فنقول هذا ربي الذي أعبده:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص].

فربي أحد فرد صمد، فهوأحد سبحانه في ذاته، أحد في ربوبيته، أحد في ألوهيته، أحد في أسمائه وصفاته، فلا ضدّ له، ولا ندّ له، ولا شريك له، ولا متصرف معه في ذرة من ملكوته، ولا شبيه له، ولا نظير له في شيء من أسمائه أو أوصافه، ولا منازع له ولا مغالب له، فهو سبحانه ليس كمثله شيء.

وهو سبحانه المتفرد في ملكوته دون سواه، فهو الخالق الرازق المحيي المميت

النافع الضار المعز المذل الخافض الرافع المعطي المانع، بيده السعادة والشقاوة والهداية والإضلال.

ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [فاطر: ٢٢، ٢٣].

فما ظنك أيها العبد؟

- ما ظنك لو اجتمع أهل السماوات السبع والأراضين السبع ومن فيهن وما بينهما على هداية من أضله الله، هل ترى أن هذا بممكن لهم أو في مقدورهم واستطاعتهم؟
- وما ظنك لو اجتمع أهل السماوات السبع والأراضين السبع ومن فيهن وما بينهما على إعزاز من أذله الله، هل ترى أن هذا بممكن لهم أو في مقدورهم واستطاعتهم؟
- وما ظنك لو اجتمع أهل السماوات السبع والأراضين السبع ومن فيهن وما بينهما على إحياء من أماته الله، هل ترى أن هذا بممكن لهم أو في مقدورهم واستطاعتهم؟
- وما ظنك لو اجتمع أهل السماوات السبع والأراضين السبع ومن فيهن وما بينهما على خلق ذبابة أو استنقاذ ما تسلبه منه، هل ترى أن هذا بممكن لهم أو في مقدورهم واستطاعتهم؟

فالكل خلقه وملكه وعبيده وفي قبضته وتحت تصرفه وقهره، مشيئته فيهم نافذة لا امتناع لهم عما قضاه، ولا خروج لهم من قبضته، فلا حركة ولا سكون إلاّ بإذنه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وهو سبحانه الصمد، الذي تصمد إليه جميع الخلائق في مسائلهم وحوائجهم، فهو الكامل في صفاته، وهو الذي تقصده جميع المخلوقات في كل الأمور والحاجات. فهو سبحانه يُقصد في كل ما يحتاج إليه العبد، ويكفيك في ذلك أنه سبحانه دعا عباده إلى ذلك، ألاّ يطلبوا إلاّ منه سبحانه، وأنه لا يخيب رجاء من رجاه، بل خلق الخلق؛ ليُحسن إليهم ويُنعم عليهم، ويتفضل عليهم، فقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وهو كما يقول سبحانه فيما يرويه النَّبيّ ﷺ عن ربه تعالى: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث ذكرني**».

وهو سبحانه الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولا مثيل له ولا كفؤ له ولا مساوي له سبحانه ﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥) ﴾ [مريم: ٦٥].

وربي الذي أعبده هو كما وصف نفسه في سورة الفاتحة، فهو سبحانه رب العالمين، وهو الرحمن الرحيم، وهو مالك يوم الدين.

فهل تعرفت أيها العبد على ربك بأنه رب العالمين؟

وهل تعرفت أيها العبد على ربك بأنه رحمن رحيم؟

وهل تعرفت أيها العبد على ربك بأنه مالك يوم الدين؟

فأقول - إنّ ربي الذي أعبده هو رب العالمين:

فهو ربّ كل شيء ومليكه، و هو رب الأولين والآخرين، و هو رب المشرقين ورب المغربين رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، وهو رب الأراضين السبع، وهو رب الأولى والآخرة، و هو سبحانه الذي خلق فسوّى وقدّر فهدى، وهو الذي أخرج المرعى، وهو الذي أمات وأحيا، و هو الذي صوّر الإنسان في

الأرحام، وهو الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، وهو الذي خلق الظلمات والنور والظل والحرور، وهو الذي فلق الحب والنوى وسخّر الشمس والقمر، وخلق الأنعام وأصنافها، وهو القائم برزق الأحياء وكل دابة من أهل الأرض، وهو الذي خلق الإنسان ومدّه بالسمع والبصر والفؤاد.

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد : ١٦].

انظر إلى هذه المناظرة التي تمّت بين موسى عليه السلام، وبين الطاغية فرعون الذي ادّعى الربوبية، وقال أنا ربكم الأعلى، فكيف دحضه موسى عليه السلام وأقام عليه الحجة العقلية، ثم الحسية.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٣ – ٢٨].

وكذلك هذه المناظرة التي تمت بين إبراهيم عليه السلام وبين النمرود بن كنعان الذي جحد وجود الخالق، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ولا سبيل لكي نتعرف على رب العالمين إلاّ من خلال القرآن؛ لنقف على

أفعال الرب سبحانه، فنقرأ في سورة النحل: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل: ٣ - ١٧].

ونقرأ في سورة الأنعام: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً

وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٥ - ٩٩].

ونقرأ في سورة الرعد: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد: ٢ - ٤].

ونقرأ في سورة الواقعة: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٥٧ - ٧٤].

ونقرأ في سورة النبأ: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ

﴿الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ: ٦ - ١٦].

ولو تتبعنا سور القرآن - خاصة السور المكية - لوجدنا هذا التركيز على قضية التوحيد وعلى تعريف الناس بهذا الرب الذي نعبده، فهو سبحانه رب العالمين الذي له كمال القدرة وعظيم التصرف، وهو الخالق الرازق الذي بيده الموت والحياة، وهو مالك هذا الكون ومالك الآخرة والمدبر لشئون خلقه وشئون هذا الكون.

وأقول إنّ ربي الذي أعبده هو الرحمن الرحيم:

فهو سبحانه ذو رحمة واسعة شاملة لجميع خلقه في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة، فهو سبحانه رحيم بعباده المؤمنين.

فما لله على خلقه من الإحسان والإنعام والإفضال شاهدٌ برحمته التامة الواسعة التي وسعت كل شيء، فبرحمته سبحانه أرسل إلينا الرسل، وأنزل علينا الكتب، علّمنا من الجهالة وهدانا من الضلالة وبصرنا من العمى وأرشدنا من الغي، وبرحمته سبحانه عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا.

وينبغي أن يستقر في القلوب والعقول أن ربي سبحانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وحسبك ما قال النَّبيُّ ﷺ عندما قدم سبيٌ فإذا امرأة من السبي تسعى إذْ وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها، وأرضعته، فقال رسول الله ﷺ لصحابته: «**أترون هذه طارحة ولدها في النار؟**» قالوا: لا والله، وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أرحم بعباده من هذه بولدها**».

وقال الله تعالى عن نفسه: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣]،

﴿ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧) ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ [الكهف: ٥٨].

وقد كتب الله سبحانه على نفسه الرحمة: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

ومن رحمة الله بخلقه أن أرسل الرسل، فقال عن رسول الله ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال سبحانه عن عيسى بن مريم: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) ﴾ [مريم: ٢١].

ومن رحمة الله بخلقه إنزال الكتب، قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨]. وقال سبحانه عن التوراة: ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ [هود: ١٧]. وقال سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال سبحانه: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤) ﴾ [النحل: ٦٤].

ومن مظاهر رحمته بعباده الليل والنهار، قال تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾ [القصص: ٧٣]. وقال سبحانه: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الروم: ٥٠].

ومن رحمة الله بالمؤمنين أن يسد عليهم منافذ المعاصي، قال تعالى: ﴿ وَقِهِمُ

السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

[غافر : ٩].

ومن رحمة الله بعباده أن أتمّ علينا هذه الشريعة، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٢].

وقال سبحانه عن تفصيل آيات هذا الكتاب : ﴿ حم ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [فصلت : ١ – ٤]، وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأعراف : ٥٢].

وهو سبحانه برحمته يسّر لنا تعلم الأحكام، قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرحمن ١ ، ٢]، وقال سبحانه : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة : ١٦٣].

فكان إنزال الله لهذا الكتاب رحمة للمؤمنين؛ لأنه لا سبيل للخروج من الظلمات إلى النور ومن الجهل إلى العلم ومن الضلال إلى الهدى إلاّ بكتاب الله تعالى، قال سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد : ٩].

فلا يكون بعد ذلك توكل الإنسان إلاّ على ربه الرحمن الرحيم، قال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [الشعراء : ٢١٧].

فربكم ذو رحمة واسعة، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾

[الزمر : ٥٣].

وأقول إن ربي الذي أعبده هو الملك:

فهو سبحانه الملك الذي استغنى عن غيره، وقد احتاج إليه غيره، وهو المالك لكل الخلائق، وهو المتصرف في هذا الكون وحده دون سواه.

فهو سبحانه الملك الذي استغنى بذاته وصفاته وأفعاله عن كل مخلوق، وجميع الخلق لا غنى لهم عن الملك.

فهو مالك السماوات والأرض ومن فيهن وما بينهما ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ** ﴾ [الشورى: ٤٩]، ﴿ **لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)** ﴾ [الحديد: ٢].

وهو الملك الذي لا تنفذ خزائنه ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)** ﴾ [آل عمران: ٢٦].

ومُلك كل ملك سيؤول إليه ﴿ **يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦)** ﴾ [غافر: ١٦].

الحمد لله أن ربي هو الملك ﴿ **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)** ﴾ [الإسراء: ١١١].

وانظر إلى عظمة الملك وكبرياء الملك، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟**».

فربك هو مالك يوم الدين، وكل من ملك في الدنيا سيأتي ربه يوم القيامة مع باقي الخلائق على صفة واحدة لا يتخلف عنها أحد، يأتون جميعًا «**حفاة عراة غرلاً**».

ففرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى. وهذا النمرود الذي جحد الإله، وهامان

وقارون وكل طاغية يأتي يوم القيامة، وقد سُلب منه ما دفعه إلى الطغيان، الكل يقف ذليلاً وضيعًا بين يدي الملك، بين يدي ربي الذي أعبده.

فلا نقول إلاَّ: لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

ولا ننسى أن نقول صباحًا ومساءً:

أصبحنا وأصبح الملك لله.

أمسينا وأمسى الملك لله.

والمؤمن لا يتضرع إلاَّ إلى الله، ولا يتوكل إلاَّ على الله، فكل من في الأرض وما يملكونه مُلْكٌ لله عزّ وجلَّ؛ لأنه الملك؛ فإذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنْتَ فاستعن بالله.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

لقد بيّنت هذه الآية أنَّ المطلوب منّي أن أحقق هذه العبودية التي خلقنا الله من أجلها، وسخّر لنا كل ما في هذا الكون؛ ليسهل علينا القيام بهذه المهمة، وأن العبادة هي الطريق المستقيم الذي أطلبه وأنشده.

فعلمت عند ذلك أنني عبدٌ لربي، وأنّ ربي ما خلقني إلاَّ لأعبده، فكان لابد أن أتهيأ لأن أكون عبداً لربي، عبداً لسيدي ومولاي ولا سبيل لذلك إلا بتنفيذ أوامره، فأنا تحت قهره وسلطانه، فلا أنشغل بغير مولاي، بل أنخلع من كل محبوبات النفس، أما سعيي وجدّي واجتهادي وتحقيقي لمحاب سيدي ومولاي الذي يطعمني ويسقيني، والذي يُميتني ثم يُحْييني، فلا حركة صادرة مني ولا سكنة، بل لا قول ولا فعل إلاَّ بأوامره.

فلما استقر ذلك في قلبي، ما هي مهمتي، كانت الخطوة التالية، وما السبيل لكي أحقق هذا المطلوب مني، وما دليلي ومرشدي وقائدي في سيري إلى ربي لكي أعبده؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨) ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

إن المهمة التي خُلق الإنسان من أجلها هي عبادة الله وحده دون سواه.

فإن قلنا وكيف السبيل لتحقيق هذه العبودية؟

نقول: إنّ سبيل الإنسان لتحقيق العبودية التي خُلق الإنسان من أجلها لا يكون إلاّ عن طريق هذا الكتاب الذي أنزله الله على رسوله، وعن طريق تعرف الإنسان على هذا الدين الذي ارتضاه الله لنا ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾

[آل عمران: ١٩].

فلابد من الدخول في الإسلام دخولاً شموليًا جملة وتفصيلاً، ولابدّ من الوقوف أولاً على معنى الإسلام؛ لكي نتصور هذا الدين تصوراً حقيقيًا.

فنقول: الإسلام في معناه هو الاستسلام والخضوع والانقياد لرب العالمين، وهو مجموع ما أنزل الله على رسوله ﷺ من أحكام العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات والأحكام التي تتعلق بتنظيم العلاقات بين الأفراد والأحكام المتعلقة بالحكم والاقتصاد والموارد المالية.

وهو بمثابة النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك للإنسان كما جاء به الرسول ﷺ.

ولقد بيّن لنا النَّبيُّ ﷺ الأركان التي بُنيَ عليها هذا الدين، فقال ﷺ: **«بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وإقام**

الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً».

وبالنظر إلى كلام النَّبيّ ﷺ نجد أن هذا الدين مبنيٌّ على أركان ثلاثة:

- **التوحيد**: وهو قول أشهد أن لا إله إلاَّ الله.
- **الاتباع**: وهو قول أشهد أنّ محمداً رسول الله.
- **التزكية**: وهي المتمثلة في إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

فكل الطاعات والقربات سواء كانت واجبة أو مستحبة، فكلها من الإسلام، وكذلك تجنب كل المحرمات التي نهى الله عنها من الإسلام.

فلا سبيل للإنسان أن يحقق المهمة التي خُلق من أجلها إلاَّ بالوقوف على ما اشتمل عليه هذا الدين من عقيدة وعبادات ومعاملات وسلوكيات وتطبيقات.

وكذلك على الإنسان أن يحذر هذا العدو المتربص بالإنسان ألا وهو الشيطان الذي يُحاول جذب الإنسان بعيداً عن دين ربه وبعيداً عن طريق ربه المستقيم.

ولقد بيَّنَ اللهُ لنا سُبُل الشيطان وأدواته وخططه التي يُحاول من خلالها الاستحواذ على الإنسان لإبعاده وإنسائه ما هو المطلوب منه، فهو في محاولات مستمرة لصد الإنسان عن الطاعة والعبادة وأن يُلبس عليه أمر ذلك الدين.

ولا سبيل للإنسان من صون نفسه عن الشيطان إلاَّ بإخلاص هذا الدين لربه الذي يعبده، و كل ذلك مداره أن يقف الإنسان مع حدود ما رسم الله لنا في هذا الدين.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

لابد من تعلم أمر هذا الدين عقيدة وشريعة، ولابد من تسطير ذلك؛ لتكون

هي خطة العمل في المرحلة العمرية التي وهبها الله لنا في الدنيا؛ فبهذا الدين يرسمُ الإنسان سبيله في تحقيق العبودية التي خُلق من أجلها؛ فكان لابد أن أتعلم وأَتَعَرَّفُ على معالم هذا الدين.

وهذا يتطلب أن أقوم بدارسة مستفيضة ودقيقة لكتاب الله تعالى وسُنَّة النَّبيّ ﷺ؛ لأقف على معالم هذا الدين المطلوب تنفيذه؛ لكي أحقق ما خُلِقْتُ من أجله.

فعندها علمت أنني لابد أن أتعلم أمر هذا الدين بعدما تعلّمتُ لماذا خلقني الله، واستقر ذلك في وجداني وكياني.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

هذه وصية الله إلينا ألاّ نموت إلاّ على الإسلام، ففيها التحذير من أن نموت على غير هذه الملة، فلابد من الثبات على الدين حتى الممات؛ ولذا قال الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) ﴾ [الحجر: ٩٩].

وهذه وصية إبراهيم عليه السلام لأبنائه، حيث قال لهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وكان من دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

ما هو السبيل للثبات على دين الله؟

أن نلازم التقوى، وذلك أن نعمل الواجبات ونترك المحرمات، وهذا كما قال النَّبيُّ ﷺ لمعاذ بن جبل: «اتق الله حيثما كنت».

وكانت بغية الأنبياء أن يتوفاهم الله على الإسلام، كما جاء ذلك عن يوسف عليه السلام: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١) ﴾ [يوسف: ١٠١].

وهؤلاء سحرة فرعون لما رأوا هذه الآية التي أيَّدَ اللهُ بها موسى عليه السلام فلم يملكوا أنفسهم إلاّ أن خرّوا سجداً لربهم، ﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا

﴿ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦) ﴾

[الأعراف: ١٢٠ - ١٢٦].

فالقرآن يقرر في وضوح تام أن الإسلام دينُ أهل السماوات والأرض ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) ﴾

[آل عمران: ٨٣].

وإلى هذا الدين وحده وجّه النَّبيُّ ﷺ رسله ورسائله إلى الملوك وعظماء الملل وأشهدهم على إسلامه وإسلام من معه ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾ [آل عمران: ٦٤].

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

علّمتني هذه الآية أنه لا سبيل للنجاة إلاّ بثبوت أقدامي على هذا الطريق حتى الممات، فلا آمن للبداية حتى تنضم إليها النهاية.

فالمطلوب الثبات على دين الله، فسعيي الدائم ألاّ أُفارق هذه الدنيا إلاّ وأنا مستمسك بذلك الدين، فعلّمتني هذه الآية أن أرى وأنا في سيري على الطريق المستقيم خط النهاية، فلا ينصرف بصري عن هذا الخط؛ فأنا أسير في طريقٍ واضح وبيّن، والرؤية فيه جلية واضحة مع رؤيتي الدائمة لخط الانتهاء، فإنه لم يغب عن بصري، وهذا فيه الدافع إلى مزيد من التمسك والسير بثبات في هذا الطريق لوضوح الروية ووضوح الهدف.

معالم هذه الآيات في طريقي في الحياة:

الآية الأولى:

وضحت السبيل الذي أطلبه من ربي في أن الله يرشدني بفضله وإحسانه وإنعامه وجوده وبره ورحمته يُرشدني إلى صراطه المستقيم.

الآية الثانية:

بيَّنت لي أن الصراط المستقيم الذي أطلبه من ربي هو العبادة وهي المهمة التي خلق الله العباد من أجلها.

الآية الثالثة :

كانت هذه الآية هي الموضحة والمبينة لي السبيل لتحقيق العبودية، وذلك من خلال اعتماد هذا الدين والدخول فيه دخولاً شموليًا جملة وتفصيلاً مع التحذير من الشيطان المتربص بالإنسان ليأخذه بعيداً عن صراط ربه المستقيم.

الآية الرابعة:

علمتني أن نظري وبصري وأنا أسير في طريق ربي المستقيم لا ينصرف بصري عن نهاية هذا الطريق، فهو طريق مستقيم نرى بداية الطريق كما أننا نرى نهايته، فهو طريق لا اعوجاج فيه، ففي كل خطوة نقطعها في هذا الطريق لم ننشغل عن رؤية نهاية هذا الطريق فإنها لم تخفَ علينا في لحظة واحدة.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥) ﴾

[النساء: ١٣٥]

فالله يأمرنا أن نكون في كل أحوالنا قائمين بالقسط الذي هو العدل في حقوق الله تعالى وحقوق عباده، فالقسط في حقوق الله ألاَّ يستعان بنعم الله على معصيته، بل تُصرف في طاعته.

والقسط في حقوق الآدميين أن نُؤَدِّي جميع الحقوق التي للآخرين علينا (من نفقة واجبة) ديون، وغير ذلك من الحقوق الواجبة للآخرين علينا.

ولابد أن يعدل الإنسان في الحكم وكذلك أن يؤدي الشهادة على وجهها، ولو كانت على نفسه أو على أقرب الناس وأحبهم إليه، ولا يُراعي فيها الغني لغناه، ولا الفقير لفقره، بل نشهد بالحق على أي كائن كان؛ لأنها شهادة تؤدى لله تعالى.

وأعظم عائق للعدل هو الهوى الذي يعمي بصيرة صاحبه حى يرى الحق باطلاً، والباطل حقًا، فمن سلم من هوى نفسه وفّق للحق وهُدي إلى صراط مستقيم، وكذلك ننتبه ونحذر من ليّ اللسان عن الحق وتحريف النطق، أو عدم الإتيان بالشهادة على وجهها، أو ترك أداء الشهادة التي يجب عليك أن تؤديها.

فالعدل هو الركيزة التي يُقام عليها المجتمع، ولا سبيل للإنسان أن يكون

عادلاً في حكمه إلاَّ عندما يحقق العدل في نفسه، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء: ٥٨].

فالإنسان يسعى أن يحقق العدل مع ربه، والعدل مع نفسه، والعدل مع الخلق، ويكفيك قول النَّبيّ ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**اتقِ الله حيثُما كُنت، وأتبع السّيّئة الحسنة تمحها، وخالق النَّاس بخلق حسن**».

والعدل خلق لا يجزّأ، فلا نفرق بين عدو وغيره، كما قال الله تعالى مبينًا أن العدل يكون حتى مع الأعداء ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨].

والعدل في الحكم بين المتنازعين، ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجرات: ٩].

احذر الهوى فإنه إله يُعبد من دون الله:

قال الله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ [الفرقان: ٤٣]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الهوى إله معبود».

والهوى ينبغي أن نعلم أنه عميق الجذور في النفس البشرية؛ فإنه مركوز داخل النفوس، ولاشك أن السبب في قوة الهوى وسيطرته على النفس أن الشهوات التي يهواها الإنسان مخلوطة بكيانه، وهي تظهر للإنسان وقد ازّيّنت، فتأمره نفسه بتحصيلها؛ لشعوره باللذة عند تحصيلها، فلا يكون همّ للإنسان إلاّ السعيّ لتحصيلها خاصة وكما قال الله تعالى أنها مزينة داخل النفوس ﴿ زُيِّنَ

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [آل عمران: ١٤].

والهوى حمل أصحابه على الكفر بالله ومعاداة رسل الله، بل حملهم على قتل الأنبياء والمرسلين ﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المائدة: ٧٠].

واتباع الناس لأهوائهم أفسد عليهم دنياهم وأخراهم؛ فإنهم في الدنيا يقضون أعمارهم سعيًا وجريًا وراء تحقيق الملذات والشهوات، فقد يدفعهم ذلك إلى البغي والظلم، وأكل أموال الناس بالباطل، وعدم أداء الحقوق؛ ولذا قال النَّبيُّ ﷺ مُحذرًا من اتباع الهوى: «**ثلاثٌ مُهلكات: شُحٌّ مطاع، وهوىً مُتَّبع، وإعجاب المرء بنفسه**».

ومن أعظم نتائج اتباع الهوى: رفض الإنسان لصوت الحق؛ لأنه يتعارض مع هواه ﴿ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦]، فالهوى يدفعه إلى تقديم الرأي على الوحي.

والإنسان بحاجة ماسة إلى أن يرسم الطريق الذي من خلاله يقف على أساليب مقاومة الهوى ويدفع من خلاله الدوافع التي تدفعه وتدعوه إلى مخالفة الصراط المستقيم.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

لا سبيل للإنسان أن يستمر على دين ربه، وأن يقوم بحق الله عليه وأداء حقوق الآخرين عليه إلا بإقامة العدل في داخله ودفع الهوى المركوز داخل النفوس وإنها لمعركة قائمة بين هذا العدل والهوى أيهما كان أقوى كان طاردًا للآخر.

ودفع الهوى لا يكون إلا بالوقوف مع دواعي الهوى التي تدفعه للشر ومخالفة

الصراط المستقيم، فيقف على تعريف الهوى وعلى صور تحكّم الهوى في الإنسان، وما هي الوسائل التي يتحصلها ليدفع عن هذا الهوى ويقاومه.

ونذكر قول عمار بن ياسر رضي الله عنه : ثلاث من جمعها فقد جمع الإيمان، منها: الإنصاف من نفسك.

فتعلمت أن أقيم العدل في نفسي، وأُقيمه في قلبي لكي أحقق العدل، حتى لو كان مع أعداء الله، فلا تحملني عداوتهم وبغضهم إلى الظلم.

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [المائدة: ٧].

لابد من وقفة مع النفس؛ ليتذكر الإنسان نعم الله عليه، ولابد أن يسعى الإنسان لإحصاء هذه النعم ما استطاع؛ حتى يقوم بأداء واجب الشكر لله تعالى على نعمه، فلقد أوجب الله تعالى علينا شكر هذه النعم.

ونِعَم الله علينا عظيمة وكثيرة، ولكن ما من بدّ إلاّ ببذل الجهد لإحصائها وعدّها ثم تصريفها في طاعة الله تعالى، فلتسعَ إلى تحديد هذه النعم، وما هو السبيل في شكر الله عليها.

فنعمة الإسلام، نعمة الإيمان، نعمة القرآن، نعمة السُّنّة، نعمة الصحّة، نعمة الفراغ، نعمة المال، نعمة الزوجة، نعمة الأولاد، نعمة العلم، نعمة الملك وغيرها.

والإنسان يعلم يقينًا أن شكره لربه على هذه النعم لا يزيد في ملك ربه شيئًا، ولكن هذا الشكر يعود على الإنسان نفسه بالنفع، ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل: ٤٠].

ونعلم أن زيادة نعم الله على العبد لتأتي بمزيد من الشكر ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

والإنسان يطلب من ربه المدد والمعونة؛ لكي يقوم بشكر ربه سبحانه ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل: ١٩].

وكان من نعم الله تعالى تيسير الطاعات وتخفيف الأحكام ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

[البقرة: ١٨٥].

ومن نعم الله تعالى أن رفع عنّا الأغلال التي كانت على الأمم السابقة، ورفع عنّا المشقة ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [المائدة: ٦].

ومن نعم الله تعالى تفصيل الأحكام ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

[المائدة: ٨٩].

ومن نعم الله تعالى أن أعطانا هذه الحواس لندرك بها الهدى ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨].

ومن نعم الله تعالى العلم النافع ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [لقمان: ١٢].

ومن نعم الله تعالى علينا أن أباح لنا الطيبات ورزقنا من فضله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:

١٧٢]، ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) ﴾ [النحل: ١١٤].

ولقد مدح الله تعالى إبراهيم عليه السلام لأنه كان دائم الشكر لربه على نعمه ﴿ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ﴾ [النحل: ١٢١، ١٢٢].

من تمام عبودية الإنسان لربه أن يكون شاكرًا لأنعم الله عليه ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) ﴾ [الزمر: ٦٦].

ولقد مدح الله تعالى نوحًا عليه السلام ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) ﴾ [الإسراء: ٣].

وكان النَّبيُّ ﷺ يقوم من الليل حتى تتورم قدماه، ولما سُئل عن ذلك قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

وكفى أن ربك شكور ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

وانظر إلى حال أهل الجنة في شكرهم لربهم ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) ﴾ [فاطر: ٣٣، ٣٤].

فربك شكور حليم ﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) ﴾ [التغابن: ١٧].

تذكير الله عباده بنعمه عليهم:

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال سبحانه: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل ١١٤]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣].

وكفاك لتعرف نعم ربك ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ».

أتذكر الميثاق الذي أخذه الله علينا ونحن في عالم الذر:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وكان من نعم الله على خلقه ومن رحمته بهم أن أرسل الرسل تذكيراً بهذا الميثاق الأول، وبياناً لكيفية الحفاظ عليه، والوفاء بهذا العهد والميثاق.

ولقد حذّر الله من نقض الميثاق، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ

بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) ﴾ [الرعد: ٢٥].

ونقض الميثاق يستوجب غضب الرب سبحانه ولعنته، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [المائدة: ١٣].

وفي المقابل هذا جزاء الموفون بعهد ربهم غير الناقضين لميثاقه، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ(٢٤) ﴾ [الرعد: ٢٠، ٢٤].

السمع والطاعة:

فلقد أخذ الله علينا أن نسمع ونطيع وبيّنَ سبحانه أن مسلك المؤمن مع آيات ربه السمع والطاعة ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) ﴾ [النور: ٥١].

وقال النَّبيّ ﷺ لصحابته: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا، بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**».

احذر!!

إنّ ربك يُراقب خواطرك، ويطلع على ما بداخلك؛ فربك سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، بل يعلم سبحانه ما يلج في الأرض وما

يخرج منها، كما أنه يعلم ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ويعلم خائنة الأعين وما نخفيه في نفوسنا، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

فربك عليم بذات الصدور ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٧﴾ [المائدة: ٧]. فهو سبحانه يعلم ما تنطوي عليه القلوب من الأفكار والأسرار والخواطر؛ فاحذروا أن يطّلع على أمرٍ لا يرضاه أو يصدر منكم ما يكرهه، واعمروا قلوبكم بمحبته ومعرفته.

فلتراقب واردات قلبك وخواطرك، فربك بصير، ولتعلم أن الدافع لسير الإنسان على طريق ربه المستقيم هو التقوى، فلتلازم التقوى في سيرك إلى ربك، فهو سبيلك للنجاة.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

علمتني هذه الآية أن حق الله عليَّ أن أكون متذكرًا لنعمه سبحانه، شاكرًا له عليها، وهذا يتطلب وقتًا مقطوعًا لصالح هذا الأمر لأضع معلم ذلك الأمر في طريقي، فأُحدد وأحاول جاهداً أن أقوم بإحصاء نعم الله عليَّ، ثم أضع مقابل كل نعمة ما هو سبيلي في شكر الله عليها.

فنعمة الإسلام سبيلي في شكر الله عليها أن أُحصي أوامر ربي ونواهيه؛ لكي أمتثل ما أمر به، وأجتنب ما نهاني ربي عنه؛ حتى أُحافظ على تلك النعمة، ونعمة القرآن سبيلي في شكر ربي عليها أن أقبض على مصحفي ليلاً ونهاراً؛ فهو دستور العمل وقائدي في سيري إلى ربي وإلى الدار الآخرة؛ فأقرأ القرآن بتدبر وتأمل؛ لأتعرف على مدلول هذه الآيات وما اشتملت عليه من حكم وأحكام، وأقف عند حدود ما رسم لنا الله تعالى ولا أتعداه، فأعلم ما هو المطلوب وما هو

سبيلي في تنفيذه؛ فالقرآن رسالة الله إلينا، وتعلمت أن أُقيم هذا المذكر من داخلي منبهًا على هذا الميثاق الذي أخذه الله علينا أن نعبده ولا نشرك به شيئًا، وأن أراقب خواطري وواردات قلبي، بل وأُراقب أفكاري وما أتبناه منها؛ لأن ربي يراقبني؛ فهو مطّلع عليّ ولا يخفى عليه مني شيء.

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١ -١٥٣]

ترسم لنا هذه الآيات معالم الطريق المستقيم، وهي علامات وإنارات على الطريق نسترشد من خلالها ونطمئن على سيرنا في هذا الطريق المستقيم.

ومعالم هذا الطريق كما توضحه الآيات ليتمثل في:

- تحقيق الإيمان ونفي الشرك.
- الإحسان للوالدين.
- الإحسان للأبناء.
- الإحسان مع النفس.
- الإحسان مع الخلق وعدم التعدي على حقوقهم خاصة الضعفاء منهم، فلا نتعدى على أموالهم أو دمائهم أو أعراضهم.
- العدل في القول والعمل (في الحكم بين الناس).
- الوفاء بعهد الله من القيام بحقوقه سبحانه والوفاء بها.

وكل معلم من هذه المعالم لابُدَّ من الغوص في داخله؛ لنقف على دقائقه، فلا سبيل لتحقيق كل معلم من هذه المعالم إلاَّ بصورة الوقوف على حقيقته وعلى عوامل إقامته وإنشائه والبعد عن عوامل هدمه وتصدعه.

فكان المعلم الأول - تحقيق العبودية والابتعاد عن الشرك:

فلا نقول أن هذا نلمحه في كتاب الله تعالى، بل نقول أن أصل رسالة الرسل كانت من أجل هذه القضية ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** ﴾ [النساء: ٣٦].

بل ما بعث الله من نبي ولا رسول إلاَّ وأمضى حياته بأكملها في دعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ﴿ **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾ [المؤمنون: ٣٢].

فما هو المطلوب وما هو السبيل لتحقيق هذا الركن الركين الذي هو أصل لكل أصول الدين والعبادة؟، السبيلُ أن نقف على كيفية توحيد الله تعالى وتفرده سبحانه في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته، وهذا يتطلب التعرف الدقيق على هذا الرب الذي أعبده ويكفيك في تحقيق هذا المعلم أن نعتمد القرآن فكله يتكلم عن التوحيد؛ حتى نصحح هذا التصور الصحيح في الرب المعبود سبحانه، ولا سبيل للإنسان لكي يكتب له النجاة إلاَّ أن يستمر على هذه العقيدة الصحيحة حتى الممات.

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا (١٣٦)** ﴾ [النساء: ١٣٦].

ولا يستطيع الإنسان أن يجتنب الشرك إلاَّ أن يتعرف أولاً على الشرك وعلى معالمه سواء كان الشرك في الربوبية أو الشرك والإلحاد في أسماء الله وصفاته، فلا

محبط للأعمال إلاَّ الشرك ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

ويكفيك للوقوف على خطورة الشرك أن تقف على قول الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٨].

المعلم الثاني - بالوالدين إحسانا:

ونرى هذا الاقتران بين التوحيد وبر الوالدين، فهي من أخطر القضايا بعد التوحيد، قضية الإحسان إلى الوالدين، فكانت هذه الوصايا الجمة في كتاب الله تعالى للإحسان إلى الوالدين ولو كانا كافرين، ولو كانا يدعوان ولدهما إلى الكفر بالله، فلا إساءة يقدمونها لولدهم أكثر من ذلك، و مع ذلك يأمر الله سبحانه أن يصاحبهما في الدنيا معروفًا مبينًا عظم حقهما على ولدهما.

وفي قصة الثلاثة الذين في الغار، فكان أحدهم بره بوالديه أحد الأسباب التي فرجت عنهم ما هم فيه .

وبر الوالدين وصية الله تعالى للأوّلين والآخرين؛ ولذا يذكر الله تعالى أن هذا الميثاق الذي أُخذ على بني إسرائيل كان من بنوده الإحسان للوالدين، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ٨٣].

بل إن كان من خير يقدم فليبدأ بالوالدين، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وقال سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾

[الإسراء: ٢٣، ٢٤].

بل نرى في الآيات التنبيه على اللطف والإحسان خاصة عندما تضعف قواهما فلتحسن إليهما بجميع وجوه الإحسان من قول وفعل مع كفٍّ أي صورة من صور إيذائهما، فلا تؤذيهما بأدنى أذية، بل تتلطف معهما بلين الكلام وحسن المنطق مع التواضع لهما، بل باستمرارية الدعاء لهما بالرحمة أحياءً كانوا أو أمواتًا؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت: ٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وانظر إلى حال هذا الولد العاق الذي يأبى الاستجابة لدعوة والديه إليه لتوحيد الله تعالى، وكم شفقتهما عليه، وكيف لا يفتران عن طلب الهداية له من الله تعالى، ولكن ما زال في عتوه وضلاله ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٧].

المعلم الثالث - الإحسان للأبناء:

فلقد نهى اللهُ الآباء أن يقوموا بقتل أبنائهم فلذات أكبادهم خشية الفقر، وهذه القضية لها تعلق وثيق بقضية الرزق؛ فإن استقرَّ في داخله أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأنه ما من دابة في الأرض إلاَّ وعلى الله رزقها فقد تكفل سبحانه بأرزاق مخلوقاته لو استقر ذلك في داخله لسكنت نفسه واطمئنَّ قلبه، ولقد أمر الله بالإحسان للأبناء في تربيتهم وتعرفهم على ربهم سبحانه.

المعلم الرابع - الإحسان مع النفس:

يقول سبحانه: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال ﷺ لمعاذ بن جبل: «**واتبع السيئة الحسنة تمحها**».

ويقول سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ(١٣٥)** ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

والإنسان لابد له أن يقي نفسه من النار، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ [التحريم: ٦].

ولا سبيل للإنسان في أن يتقي ويتجنب هذه الفواحش، سواء الظاهرة والباطنة إلاَّ من خلال الوقوف أولاً ما هي الفواحش الظاهرة، وكذلك أن يحدد ما هي الفواحش الباطنة فيقف على تفاصيلها؛ لأنه لا سبيل لاجتنابها إلاَّ بتحديدها أولاً، ثم الوقوف كيف السبيل لعلاج ذلك إن وجد عنده.

المعلم الخامس - الإحسان إلى الخلق:

وذلك بعدم التعدي على حقوقهم، فلقد حرّم الله علينا الاعتداء على الآخرين سواءً على أعراضهم أو أموالهم أو دمائهم؛ لذا قال النَّبيُّ ﷺ: «إنّ

دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في عامكم هذا». وقال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»، وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره».

فحرمة الاعتداء على الآخرين مسلمًا كان أو كافرًا إلاّ بحقٍّ أوجبه الشارع، وكذلك من صور الإحسان إلى الخلق الإحسان إلى اليتيم، والقيام بمصالحه وصيانة وحماية ماله، والتحذير من التعدي، فربك بالمرصاد ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

وكذلك إيضاء الحقوق والقيام بالقسط، والقيام بالعدل في القول والعمل، فيراعي الصدق في كل ما يقول أو يفعل سواء فيما يحب أو يكره سواء كان قريبًا أو بعيدًا.

المعلم السادس - الوفاء بعهد الله تعالى:

فلتف بما عاهدت عليه ربك من القيام بحقوقه، والوفاء به؛ فلتقف على بنود هذا العهد الذي بينك وبين ربك سبحانه، يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

ولقد أمرنا الله أن نفي بعهده، قال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].

وقال سبحانه مادحًا من أوفى بعهد الله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران: ٧٦].

ثم حذّر الله تعالى من اتباع هذه السبل التي يقوم بنصبها الشيطان في طريق

الناس ليصدهم عن سبيل ربهم، ويأخذهم بعيداً عن صراطه المستقيم ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

فاحذروه على أنفسكم واقبلوا وصية الله لكم، فإنه سبحانه لا يدعوكم إلاَّ إلى الجنة والمغفرة بإذنه، ويدعوكم لكي تكونوا من ساكني داره دار الكرامة ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس: ٢٥].

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

هذه الآية تبين لنا المعالم الرئيسية لهذا الطريق، وإنها لعبارة عن إنارات مضيئة على هذا الطريق يتعرف الإنسان فيها على كل معلم من هذه المعالم الرئيسية لهذا الطريق ولا أمان للإنسان في مُضيِّه على هذا الطريق المستقيم بلا انحراف إلاَّ بإقامته ووقوفه على هذه المعالم وكيفية إتقانها وإقامتها فهي إنارات وإشراقات على هذا الطريق.

فلا سبيل لسير الإنسان في هذا الطريق إلاَّ بإقامة هذا المعلم الأصيل ألا وهو توحيد الله تعالى ومنه اجتناب الشرك فهو المعول الذي يصدع صرح الإيمان، وكذلك يمضي بسعيه أن يكون من المحسنين، فيظهر إحسانه في معاملته لوالديه ومعاملته لأبنائه ومعاملته لخلق الله خاصة الضعفاء وإحسانه مع نفسه.

فعلمتُ أنَّ سبيلي للمضي على الطريق المستقيم لا يكون إلاَّ بالوقوف على هذه العلامات والدلالات لنضمن تواصل السير على الطريق المستقيم الذي لا سبيل للإنسان للنجاة من النار والفوز بالجنة إلاَّ بقطعه بأمان وسلام.

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وهذه الآية آية جامعة لحسن الخلق مع الناس وما ينبغي في معاملتهم وإنها لتمثل منهج السلوك العام:

- خذ العفو.
- أأمر بالعرف.
- أعرض عن الجاهلين.

- خذ العفو: وهو خلق أصيل من خلاله يتم التجاوز عن نقص العباد، وغض الطرف عن نقصهم، وسعة الصدر في قبول الناس والحذر من التكبر والاستطالة على خلق الله.
- أأمر بالعرف: وهو خلق باعث على الحرص على تعليم الناس الخير، والسعي للإصلاح بين الناس، وإسداء النصيحة والتعاون على البر والتقوى، والزجر عن القبيح، والحث على تعليم العلم، والحث على الخير عمومًا.
- أعرض عن الجاهلين: خلق التغافل عما تقابل به من الإعراض أو التولي أو السفاهة التي تصدر من بعض القوم، فهذا لا يدفعك إلى ترك الطريق ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ [المدثر: ٧]، ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾ [المزمل: ١٠].

واحذر من نزعات الشيطان، فإنه لك متربصٌ، وتذكر ماذا لو ترك النَّبيّ ﷺ دعوة القوم لدين ربهم كنتيجة لأنهم قابلوه بالإعراض وبالسفاهات والجهالات والسخافات؟!.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

تُبيّن هذه الآية وعورة الطريق؛ حتى لا نظن أن هذا الطريق ممهد، ولكن قد بثت فيه العقبات وسبيل الإنسان أن يجوز هذه العقبات ويقطع هذا الطريق أن يتعرف على طبيعة هذا الطريق وما هي المهمة التي ينبغي أن أقوم بها وأنا أقطع هذا الطريق وأتعرف على كيفية التعامل مع هذه العقبات؛ حتى لا أسقط في أي عقبة من هذه العقبات، فعليَّ بالحرص التام وأنا أجوز كل عقبة من هذه العقبات خاصة والطريق قد مُلِئ بالسُفَهَاء على جانبيه يُحاولون محاولات مستمرة تخذيل الإنسان؛ لكي ينقطع عن هذا الطريق.

فكان لابد من حمل النفس وتأديبها على هذه الأخلاقيات، فهي أخلاقيات أصيلة ينبغي أن يربى عليها الإنسان ليستطيع مواصلة الطريق، وكان لزامًا أيضًا أن أزن معيار أدائي لهذا الخلق والسلوك للحصول على أرقى درجاته لأرقى من خلاله في سلم العبودية والإيمان.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

عنوان السعادة والصلاح في الدارين: تقوى الله.

ثمرات التقوى:

١ - أعطاه الله العلم والهدى وهو النور الذي يفرق من خلاله بين الهدى والضلال والحق والباطل، والحلال والحرام.

٢ - تكفير السيئات.

٣ - غفران الذنوب.

٤ - أجر عظيم وثواب جزيل.

فما السبيل لكي أكون من المتقين؟

سبيلك لتنضم إلى فريق المتقين أن تشتمل على خلالهم وذلك من خلال الآيات التي وصف الله لنا من خلالها كيف أكون من المتقين، يقول سبحانه: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢ - ٤].

ويقول سبحانه: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى

الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٥].

فهذا جانب من الآيات التي تبين جانب من صفات المتقين، فسبيلك للتقوى أن تمتثل هذه الخصال التي من اشتمل عليها كان من المتقين.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

لا سبيل إلاَّ السعي الدائم غير المنقطع لأن أكون من المتقين، وسبيلي في ذلك الوقوف على صفات المتقين كما وصفها الله تعالى، والقيام بحصرها ما استطعت، ثم وضع البرنامج العملي لكي صفة من هذه الصفات، وأضع البرنامج العملي والزمني لكل خصلة من خصال التقوى، فأُحدد معالم كل خصلة، وكذلك المظهر السلوكي لها مع وضع الميقات الزمني بدقة؛ حتى لا ينسلخ الوقت وينسلخ الطريق من تحت قدمي مع استصحاب الحافز الذي بينه الله لمن يلتزم التقوى، ومن أهم هذه الثمرات هذا النور والضياء الذي أستطيع من خلاله أن أميز بين الحق والباطل والهدى والضلال.

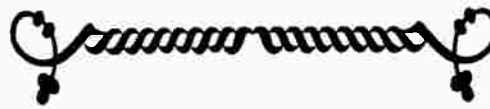

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾ [التوبة: ١١١، ١١٢].

يا لسعادة المرء لو وفّق لهذه الصفقة التي يعقدها مع ربه سبحانه؛ فإنها والله لتجارة لن تبور. وربك اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، وكان عوض ذلك سلعة الله الغالية ألا وهي الجنة.

بنود العقد والمبايعة:

بأن يبذلوا لله نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه لإعلاء كلمته سبحانه وإظهار دينه.

هل تفقه ما معنى هذه الصفقة؟

إن بِعْتَ لربّك نفسك ومالك فلتقم بتسليم هذه السلعة المبيعة، فهذا المال المطلوب أن تخرجه من ملكك إلى مالكه الحقيقي وأن تنفقه في سبيل الله تعالى ونفسك تذب بها عن دين ربك سبحانه حتى لو بذلت نفسك وأهلكت نفسك دفاعًا عن الحق.

هل تجدون من يوفي بعهده غير ربكم؟!.

فهذا والله لهو العقد العظيم، فلا فوز أكبر منه ولا أجل ففيه السعادة الأبدية والنعيم المقيم.

الصفات التي تؤهلك لعقد هذه الصفقة مع ربك:

لابد من هذه التربية النفسية التي تتأهل من خلالها لعقد هذه الصفقة مع ربك سبحانه، التائبون، العابدون، الحامدون، السائحون....

ولا يوصف الإنسان بأي خصلة من هذه إلا إن كان ملازمًا لها فلا يسمى تائبًا إلا إن كان كثير العودة لربه وكثير الإنابة لا ينفك عن التوبة إلاَّ وتراه قائمًا في هذا المقام وكذا مع كل صفة من هذه الصفات.

فهنيئًا لمن اتصف بذلك، وهنيئًا لمن تأهل ليعقد الصفقة مع من لا يُخلف الميعاد.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

لابد من ترجمة حقيقية تقع في القلب بصورة صحيحة وواضحة وجلية ما معنى أني بعتُ مع ربي مع وضوح للمبيع الذي كان محل ذلك العقد.

فتعلمت أنَّ هناك خلال لمن أراد أن يبيع مع ربه وهذه الخلال سابقة لهذه الصفقة، بل لا يؤذن للإنسان بالتقدم لعقد هذه الصفقة إلاَّ بعد استيفائه لهذه الخلال.

وهذه الخلال عبارة عن بنود للتربية النفسية والتربية التطبيقية العملية والدافع الذي يدفع الإنسان لكي يكون من أصحاب الهمم العالية وعدم التقاعس، هو الإيمان ورؤية الإيمان ووقوعه في القلب بصورة صحيحة.

إذا تمّ البيع فلابد عندها من تسليم المبيع فليس لي حق التصرف في مالي ولا نفسي فإنهما أصبحا ملكًا لمولاي، فأتصرف فيهما تصرف العبد مع أوامر سيده.

فأين أضع المال وأين أضع النفس؟!، انظر إلى كلام مولاك.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

هذا كتاب الله تعالى مرشد ودليل الإنسان وقائده في رحلته وسيره على طريق ربه المستقيم، ولا غنى للإنسان عن هذا الدليل طرفة عين؛ مخافة الضلال والزيغ، والله تعالى يرغّب العباد في إقبالهم على كتاب ربهم فيذكره بأوصاف حسنة ضرورية للعباد، فيصفه أنه موعظة من ربكم، والله يعظكم به لعلكم تذكرون، وينذركم من الأعمال السيئة الموجبة لسخط الله المقتضية لعقابه مبينًا آثار هذه المعاصي ومفاسدها.

ووصفه الله تعالى بأنه شفاء لما في الصدور، فلا علاج لأمراض الشهوات والشبهات إلاّ بالقرآن والانقياد لأوامر الله تعالى، فإنه يُعالج قلب الإنسان ليكون راغبًا في الخير زاهدًا مقلعًا عن الشر، ومظهر ذلك تقديم محاب الله على محاب النفس، وصار ما يرضي الله تعالى أحب إلى العبد من شهوات ومحبوبات النفس.

ووصفه الله بأنه هدى ورحمة للمؤمنين، وكان فضل الله على المؤمنين عظيمًا؛ فالمؤمن يفرح بكتاب ربه؛ لأنه من أعظم نعمه ومننه وإحسانه وإنعامه على عباده المؤمنين، وهو فضلٌ تفضّل الله به على عباده المؤمنين، فهو خير من متاع الدنيا ولذاتها؛ فالدنيا ومتاعها مقطوعة، أما القرآن فإنه يوصل الإنسان إلى متاع الآخرة وهو متاع باق لا زوال له. أهل الدنيا يفرحون بالدنيا ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ [غافر: ٨٣].

وأهل الآخرة يفرحون بكتاب ربهم ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ(٥٨)﴾ [يونس: ٥٨].

فهذا كتاب الله الحق، فماذا بعد الحق إلاَّ الضلال؟! فلا مرية ولا شكّ في ذلك بوجه من الوجوه، فلا سبيل للمؤمن إلاَّ اتباع ما أوحى الله إلى رسوله والعمل بما تقتضيه الآيات وليصبر فإن عاقبة الصبر حميدة، فلا تكسل ولا تضجر، بل دم على ذلك، واثبت.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩)﴾ [يونس: ١٠٨، ١٠٩].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤)﴾ [النساء: ١٧٤]، ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ(١٦)﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

ولقد وصف الله تعالى لنا كتابه بأوصاف كثيرة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢)﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)﴾ [الفرقان: ١]. وقال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤)﴾ [الكهف: ١-٤].

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

علّمتني كيف أنظر إلى قلبي لأرى ما هي مكانة القرآن في قلبي، وفي أي موضع من قلبي تربّع هذا الكتاب، بل وأبحث أين مكاني أنا في القران كيف أجد نفسي في كتاب ربي، وهل فعلاً اعتمدت هذا الكتاب الذي اعتمده الله لنا كمرشد في حياتنا، وما إذا كنت أرى أوصاف هذا الكتاب في قلبي؛ ليظهر ذلك على سلوكي، وهل أجد فرحة حقيقية في قلبي بكتاب ربي لا تساويها الدنيا بما فيها لو وضعت أمامي وبين يدي، وهل فعلاً استطعتُ أن أعالج ما ألمَّ بي من أمراض الشهوات والشبهات التي لا دافع لها إلاَّ بالقرآن.

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٣) وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ(١١٥) ﴾ [هود: ١١٢ - ١١٥].

المداومة والثبات على الطريق المستقيم، وحاجة الإنسان إلى التذكرة الدائمة وعدم غفلة الإنسان عن الطريق وعلامته وعدم غفلة الإنسان عن الهدف ولابد من تجلية الرؤية وإيضاحها بين الحين والآخر لإزالة أي عوائق أو علائق تعلق بالإنسان مع طول الطريق، وعلى ذلك علينا أن لا نتعدى حدود ما حده الله لنا من الاستقامة.

إن ربك بما تعملون بصير، ترغيب بسلوك الاستقامة وترهيب من ضدها، فالله لا يخفى عليه خافية من أعمالكم وسيجازيكم على ذلك؛ لذا حذر سبحانه من الميل إلى من تعدى الاستقامة، وهذا يتطلب النظر الدائم في الصحبة والرفقة التي اخترناها لنعبر معها الطريق، والحذر كل الحذر أن نميل إلى من مال عن طريق ربه المستقيم.

خير أدوات تُعين الإنسان على أن يستقيم في الطريق هو توطيد العلاقة بينه وبين ربه مع التذكر لهذا العهد والميثاق، فكان الأمر بالصلاة والمحافظة عليها، فإنها هي الحسنات الماحية ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وهي حسنات يمحو الله بها زلل الإنسان وهو يسير في هذا الطريق.

والأمر يحتاج إلى مجاهدة ومواصلة للطريق فكان الأمر بالصبر ﴿ وَالَّذِينَ

﴿ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ [الحج: ٧٨].

فلتحبس نفسك على طاعة ربك وعن معصيته؛ فربك لا يضيع عنده عمل عامل منا من ذكر أو أنثى، والله يحفظ لأوليائه أعمالهم وليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله.

فلتُرغب النفس إلى ما عند الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر: ١٠]، إنه صبر ساعات ونعيم سرمديّ، فمن يرد الله به خيراً يجعل له واعظًا من قلبه.

فلا تركن ولا تطمئن إلى نفسك بأنك تسير على طريق ربك المستقيم، فلتحذر من طغيان الطاعة، فبصرك لا ينصرف عن خط النهاية، ولا تنظر خلفك فتطمئن إلى ما قدمت من طاعات إنما الأعمال بالخواتيم.

فسرْ على بركة الله وبصرك لا ينصرف عن رؤية الجنة؛ فلابد من وضوح الرؤيا ووضوح الهدف.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

حاجة الإنسان الشديدة للمراجعة والتثبت من موضع قدمه، ولا يكتفي الإنسان أنه قد بدأ هذا الطريق بداية صحيحة لكن كل خطوة يخطو بها الإنسان على الطريق تحتاج إلى النظر والاهتمام والتثبت كما فعلنا مع الخطوة الأولى، وكان كل خطوة مرحلة مستقلة من المراحل التي يمر بها الإنسان.

وحاجة الإنسان إلى التذكرة الدائمة حتى لا يركن ولا يطمئن إلى نفسه أو سابقة أعماله، وإن الإنسان لو غفل لحظة واحدة لعادت نفسه إلى البغي والطغيان؛ لأن النفس مجبولة على ذلك. علَّمتني أن لا أسلم الراية إلى نفسي.

﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف : ٥٣].

احذر من النفس الأمارة بالسوء، فلا تطمئن لنفسك ولا تُحسن بها الظن فإنها لمتقلبة ولمحركة لشهوات الإنسان في قلبه ، فنفسك هي مركب الشيطان ومنها يتسلل إلى داخلك.

﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ ﴾ من رحمة الله بعبده أن يكفيه شر نفسه التي بين جنبيه وأن يوفقه إلى علاج نفسه حتى يقبل بها إلى أن تكون نفس مطمئنة وسبيلها في ذلك ذكر الله تعالى بلا انقطاع ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨].

والنفس المطمئنة هي النفس المنقادة لداعي الهدى متعاصية عن دواعي الردى.

إنّ بناء النفس على الاستقامة والصلاح أساسه العبودية الحقة لله وحده والإيمان به سبحانه، وبالدين الحق الذي ارتضاه لعباده ليكون لهم شرعة ومنهاجًا، وكلما ازداد الإيمان رسوخًا أثمر ثمراته اليانعة في تزكية النفس واستقامة السلوك، وليس الإيمان إعلانًا باللسان، بل هو ما وقر في القلب وصدقه العمل.

قابلية النفس للخير والشر:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾ [الشمس : ٧، ٨]، فطبيعة الإنسان قابلة للخير والشر، وطبيعة الإنسان أنه مجبول على حب الشهوات؛ ولذا يقول سبحانه : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [السجدة : ١٣].

ولقد وصفت آيات القرآن النفس بأنّ لها هوى وهو ما تهواه من مطالب وحاجات ومتع ولذات، والانقياد وراء الشهوات؛ ليحطم النفس ويأسرها ﴿ **إن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ** ﴿٢٣﴾ ﴾ [النجم: ٢٣]. ونفس الإنسان لابد أن تلتزم وتنقاد لشرع ربها ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ** ﴿٤٠﴾ **فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، وقال سبحانه: ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن: ١٦].

من دواعي النفس الخبيثة: ﴿ **لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا** ﴿٢١﴾ ﴾ [الفرقان: ٢١]، ﴿ **حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم** ﴾ [البقرة: ١٠٩].

حب الإنسان لنفسه وتقديمها على غيره: ﴿ **وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ** ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وربك مطلع على خفايا النفس: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

النفس الأمارة بالسوء: وهي نفس تدفع صاحبها إلى الشر وإبعاده عن الخير.

قصة أول قتل: ﴿ **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [المائدة: ٣٠]، فنفسه زيّنت له الإقدام على هذه الجريمة وحسّنت له فعلها.

وهي مركب الشيطان ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ** ﴿٢٥﴾ ﴾ [محمد: ٢٥]؛ لذا كان من دعاء النبيّ ﷺ: «**إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا**».

النفس اللوّامة: هي نفس المؤمن فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه، يقول الحسن:

هي والله نفس المؤمن ما يُرى إلاّ يلوم نفسه: ما أردت بكلامي؟ ما أردت بأكلي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ والفاجر لا يحاسب نفسه.

النفس المطمئنة: هي نفس اطمأنت بإقامتها على طاعة الله فسلمت بوعده ورضيت بقضائه وتوكّلت عليه، وذاقت حلاوة الإيمان، فلم ترضَ به بديلاً، وهي النفس التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وما أصابها لم يكن ليخطئها.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

الوقوف المستمر واللحظ المتواصل لعيوب النفس وآفاتها مع عدم النسيان أن هذه النفس لا تأمر إلاّ بالشر والسوء، ولا يطمئن الإنسان أنه عالج نفسه حتى أصبحت نفس مطمئنة، فيظن أنه أصبح يقودها، ولكنه إن غفل لعادت إلى طبيعتها؛ فإن المرء ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها.

فاحذر أن تترك العنان لنفسك لتقودك؛ فإن الإنسان لا يأمن أن تقوده نفسه إلى المعصية بعد الطاعة.

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۝١٠ ﴾
[الرعد : ٨ – ١٠]

هذا ربي الذي أعبده، فالله تعالى يُخبر بعموم علمه وسعة اطلاعه وإحاطته بكل شيء، والله تعالى ذكر لنا هذه المفردات لكي نتيقن من قلوبنا أنه سبحانه لا يخفى عليه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة لا في الأرض ولا في السماء، كما قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٥٩ ﴾ [الأنعام : ٥٩].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧ ﴾
[المجادلة : ٧].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ ﴾ [الحديد : ٣، ٤].

كل شيء عنده بمقدار، لا يتقدم عليه شيء ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص إلاّ بما تقتضيه حكمته وعلمه، وهو سبحانه كبير في ذاته وفي أسمائه وصفاته ومتعال على جميع خلقه بذاته وقدرته وقهره.

سواء منكم في علمه وسمعه وبصره من أسرّ القول أو جهر بالقول سواء كان في مكان خفي أو داخل سربه.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

حاجة الإنسان المستمرة والملحة في أن يتعرف على ربه الذي يعبده ولا يظن أنه تعرف على ربه بصورة كافية تمنعه من طلب المزيد في التعرف على الله، والإنسان ما ينبغي أن يغفل عن علم ربه المحيط؛ فإنه سبحانه قد أحاط بكل شيء علمًا، والغيب والشهادة عنده يتساويان فكما لا أغيب عن ربي بالنهار، فانا لا أغيب عنه بالليل، ففي الآية التحذير الشديد من أن نظن أننا من الممكن أن نخفى على ربنا مع جنح الليل ودخول الظلام وتمكنه من الليل، فإن ورد ذلك الخاطر فهو لدليل على ظلمة القلب وفساد الاعتقاد.

فعلِّمَتْني كيف أُراقب خواطري لربي ليلاً كان أو نهارًا، ولابد أن أقيم مشهد علم الله المحيط في قلبي مما يدفعني أن أحرص على أقوالي وأفعالي وخواطري، فربي قدير وربي سميع بصير وأنه سبحانه قد أحاط بكل شيء علمًا.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾

[الرعد: ٢٨، ٢٩]

لا زوال للقلق أو الاضطراب إلا بذكر الملك، حيث لا تطمئن القلوب إلا بذكره، وذكر الملك ليس عبارة عن ذكر باللسان، ولكن ذكر القلب لربه سبحانه، وهذا يتطلب معرفة العبد بربه معرفة يعمر بها القلب، ويكون منها إجلال العبد لربه وتعظيمه الذي يرى على ظاهره وسلوكه.

﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ لهم حالة طيبة ومرجع حسن، وذلك بما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا والآخرة، وأن لهم كمال الراحة وتمام الطمأنينة.

النفس الساكنة والقلب المطمئن:

هي نفس راضية بقضاء الله تعالى التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها، وهي النفس التي تبشر عند الموت، وعند البعث، وعند الجمع.

فهي نفس ساكنة زكية ثابتة مع الحق، فقد رضيت عن ربها ورضي الله عنها وأرضاها؛ ولذلك تبشر بمقعدها في الجنة ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٨ - ٣٠]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأحقاف: ١٣]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠]، ولا سبيل للإنسان ليصل بهذه النفس إلى هذه الصورة إلا بتزكية النفس بالإيمان والعمل الصالح؛ فهو قلب استنار بنور الإيمان فعمر بالإيمان.

هل سعادة الإنسان تكون بمعزل عن الدين؟ هل ترى أن الدين يدعو للكبت والحرمان من الحرية الشخصية؟!

نقول لعلماء النفس كلمة نهمس بها في أذنهم:

يجب أن تستفيدوا من الدين، وأن تلتزموا بقوانين الخالق سبحانه وتعالى؛ لأن الله تعالى هو أعلم بالإنسان؛ فهو الذي خلقه.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

كم مرة تذكر ربك في اليوم والليلة؟ هل تذكره في أوقات دون أوقات؟ وهل تنشغل بدنياك عن ذكر ربك؟

هؤلاء لن يصلوا إلى طمأنينة القلب إلاّ إن كان لا ينفك عن ذكر ربه لا بالليل ولا بالنهار، فإن نام نام على ذكر ربه، وإن استيقظ استيقظ على ذكر ربه. هل تجد في قلبك قلقًا أو اضطرابًا؟ إن وجد فإنك لم تصل بعد إلى الدرجة المطلوبة لذكر ربك سبحانه.

قلت: إنه والله لعجيب أمر الإنسان يعلم الحق ولا يعمله، فهذه الآية قلبي يعلمها، ولساني ينطق بها، ولكن كيف يبعد الإنسان عن التطبيق، ذلك لأنني لم أضع هذا الأمر موضع التنفيذ، والتنفيذ يكون بوضع الخطوات ووضع البرامج الزمنية أطبق فيها هذا الأمر سواء من ذكر الله عن طريق اللسان أو عن طريق الجوارح.

فأصبح هدفي كيف الوصول إلى أن أكون ذاكرًا لربي ليلاً ونهارًا دون أن أملّ أو أسأم، فأنام على ذكر ربي وأستيقظ على ذكر ربي، فلا أرى إلاّ وأنا على ذكر ربي وأن أمارس معيشتي اليومية.

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

الشيطان سبب لكل شر يقع في العالم، يقول لأوليائه وأتباعه عندما يجتمعون جميعهم في النار، قال لهم مخاطبًا ومتبرئًا منهم، يتبرأ أن جعلوه شريكًا مع الله، فيقول أنا لست شريكًا لله ولا تجب طاعتي.

فوالله إنها لرحمة من الله بعباده أن يطلعنا على ما لا سبيل لنا لكي نطلع عليه ونحن على ظهر الدنيا وفيها عصمة الله لأوليائه ﴿ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٤].

ما هو سلطان الشيطان علينا؟

لا سلطان له بالحق والدليل ولكن سلطانه على أتباعه بالإغراء على المعاصي لأوليائه ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) ﴾ [مريم: ٨٣]، ولذا قال سبحانه: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ [النمل: ٢٤]. والإنسان هو الذي يسلط الشيطان عليه، فهو الذي أعطى للشيطان زمام الأمر ليقوده حيث أراد.

فما لي أراك أيها الإنسان وكأنك غير مصدق ربك؟

﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) ﴾ [نوح: ١٣]، ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾

[الأنعام: ٩١]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧].

هل أنت مصدق ربك فيما قال؟ فماذا تنتظرون؟!

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

حرص الإنسان البالغ في إظهار عداوته للشيطان يتمثل ذلك في معرفة وسائل وأدوات الشيطان التي يستعملها لإضلال العبد، بل لابد من حرب معلنة على الشيطان، واستحضار الإنسان لهذا المشهد يدفعه إلى الرغبة الشديدة في طلب مزيد من الطاعات والرهبة الشديدة أن يكون من أصحاب النار.

وعلامة ذلك أن يصدق بوعد ربه تصديقًا نراه بلسان الحال بالإضافة إلى لسان المقال.

فعلَّمَتْني أن أظهر عداوتي للشيطان وأجهر بها مع الحرص الشديد وآخذ حذري من مداخل الشيطان؛ حتى لا يتسلل إليَّ وأنا في غفلة فصممت أذني عن الاستماع للشيطان ونصائحه وإرشاداته وأغلقت قلبي؛ حتى لا يتسلل إلى داخله وفوق ذلك فإني قد استعنت بربي واعتصمت به، فإياه أعبد وإياه أستعين.

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

تثبيت الله للمؤمنين في الدنيا ، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.

تثبيت الله للمؤمنين في الآخرة: عند الموت: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

عند الفزع الأكبر: ﴿ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

علَّمَتْني هذه الآية أنه وما توفيقي إلاَّ بالله فتعلمتُ أن الإنسان لا يعتمد على مهاراته ولا أعماله ولكن قلبه يتوكل على الله، مع عدم التقاعس عن الأخذ بالأسباب مع يقيني أن ثبات الإنسان على الدين هو منة من الله تعالى.

وهذا أمرٌ نراه واقعيًا عند المآزق والأمور الشديدة الحرجة كيف يثبّتُ الله أهل الطاعات - في مثل هذه الأمور - اللهم ثبّت قلبي على دينك واصرف قلبي إلى طاعتك ولا تُزغ قلوبنا بعد إذْ هديتنا وهبْ لنا من لدنك رحمة إنّك سبحانك أنت الوهاب.

﴿ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحجر: ٨٨].

احذر من الدنيا وشهواتها وزينتها وزخرفتها، واحذر من النظر وإدامة النظر إلى المترفين.

قال تعالى: ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٦].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [القصص: ٧٦]. فإياك الاغترار بالدنيا كما اغتر بها الجاهلون.

﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ألن لهم الجانب وحسّن لهم خلقك محبةً وإكرامًا وتوددًا.

انظر إلى لين القلب ورقته، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

علَّمَتْني هذه الآية الحذر من الدنيا وأنها لأخاذة للنظر، وعلّمتني أن أنظر إلى ما وراء الدنيا إلى ما وراء هذه الزينة التي ظهرت وبدت فيها الدنيا، فهل المتاع الزائل يُسمى متاعًا، وهل السعادة الفانية تُسمى سعادة.

وعلَّمَتْني أن أراقب قلبي وأنظر إليه وإلى ما فيه لأرى علامة رقة قلبي ولينه للمؤمنين، وما إذا كان ينطبق عليَّ أنني من الذين قال الله عنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، فعلَّمَتني ما إذا كان غير موجود في قلبي أن أنظر كيف السبيل لكي أجعل هذا الرفق واللين من المعالم الأساسية في قلبي.

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٨، ٩٩].

أكثر من ذكر الله وتسبيحه وتحميده، واستمر على طاعة ربك حتى يختم لك بذلك، سبحان الملك القدوس، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة والكبرياء، سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي العظيم.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

وصية الله إليَّ أن أحرص على أن أموت على الإسلام، فكيف السبيل لذلك؟

أن أعبد ربي حتى يأتيني الموت، وأحرصُ على أن يُختم لي بعمل صالح.

فعلَّمَتْني أن أنظر إلى خط النهاية فلا تموتن إلاَّ وأنتم مسلمون.

اللهم أحيني على الإسلام، وأمتني على الإيمان.

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨].

آلات هي مفتاح كل علم، فلا سبيل للعبد أن يُحصِّلَ العلم إلاَّ من أحد هذه الأبواب الثلاثة.

سبيلك أن تشكر ربك على هذه الآلات، ونصرفها في طاعة الله.

بوابة العلم: « السمع، والبصر، والعقل ».

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

بوابة العلم أن يكون عن طريق هذه الحواس التي هي من نعم الله تعالى:

السمع، كيف أوظفه في الوصول إلى المقصد.

البصر، كيف أوظفه في الوصول إلى المقصد.

العقل، كيف أوظفه في الوصول إلى المقصد.

وهل تم استعمال هذه الحواس بكامل طاقتها أم صرفت لغير ما أُعطيت له.

فعلمتُ ونظرتُ إلى سمعي ونظرتُ إلى بصري ونظرتُ إلى لساني، ونظرتُ إلى جوارحي، وعلمتُ أن الله أعطانا إياها لكي نبصر الهدى.

فلتحذري يا نفس أن تعطلي الانتفاع بهذه الحواس التي هي منح من ربي تعالى.

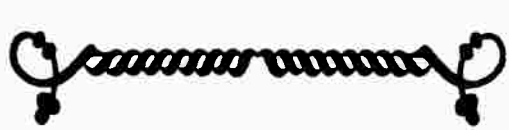

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٩].

هل أنت ممن يطلب الدنيا ويقدمها على الآخرة أم ممن يطلب الآخرة ويقدمها على الدنيا ؟ فعلامات طالب الآخرة أنه يأخذ بكل سبب من الأسباب التي توصل للآخرة، وهذه الوسائل التي توصل للآخرة متمثلة في الإيمان والعمل الصالح، فالإيمان شرط في صحة الأعمال وقبولها، بل لا تسمى أعمالاً صالحة إلاّ بالإيمان؛ لأن الإيمان مقيد لها حيث أنه التصديق الجازم المثمر لأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات، ومن جمع بين الإيمان والعمل الصالح فإنه ليحيا حياة طيبة مظهرها طمأنينة القلب وسكون النفس وعدم الالتفات إلى ما يشوش عليه قلبه ويرزقه الله رزقًا حلالاً طيبًا.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

فهل أجد في قلبي معلم طلب الآخرة، وهل فعلاً الآخرة همي وشغلي الشاغل أم لا؟ فلا يجتمع طلب الدنيا وطلب الآخرة في قلب إنسان إلاّ وكانت إحداهما طاردة للأخرى، فعلَّمَتْني أن أفتش داخل قلبي؛ لأنظر أيهما أحب إلى قلبي الدنيا أم الآخرة، بل وأيهما أغلب في قلبي، فالأمر لا يحتاج إلى تمييع للقضية، بل لابد من القطع فيها والحزم والجزم، فكان لزامًا أن أتحقق من قلبي لأنه يقينًا لا سبيل للإنسان لكي يحيا الحياة الطيبة إلاّ من خلال تحقيق الإنسان للشروط التي تؤهله لهذه الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، وهذا لا يتم إلاّ من خلال التلازم بين الإيمان والعمل الصالح وأن منطلقي للعمل الصالح ينبغي أن يكون من خلال ركيزة إيمانية صحيحة، فكان لزامًا أن أنظر إلى معالم هذه العقيدة في قلبي .

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

هل أنت موقن بلقاء الله تعالى؟ وهل أنت موقن أنك موقوف بين يدي ربك وأنك مسؤول؟ قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحاقة: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الكهف: ٤٨].

فماذا أعددت للقاء ربك غداً؟ ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [طه: ١٥].

فهل أنت تحب لقاء ربك فما زلت تتقرب إلى ربك بالنوافل بعد إتمامك لفرائضه، وهل أنت ممن ينادي ربك جبريل بشأنه فيقول له إني أحب فلان فأحبه، فعلامة استعداد الإنسان للقاء الله يتمثل في سعي الإنسان لتصحيح الاعتقاد وإخلاص العبادة لله تعالى.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

علمتني هذه الآية أنني لابد أن أتهيأ وأتأهل للقاء ربي غداً، وعلامة ذلك هو عدم الانفكاك عن الأعمال الصالحة مع الصيانة التامة لإيماني ورعايته، والحرص الشديد على إزالة أي معلم من معالم الشرك تصدع هذا البنيان، وهذه الآية كان من معلمها أن قلبي كاد يطير شوقًا إلى ربي، فلقد اقترب الموعد وحان وقت اللقاء فيا نفسي ماذا أعددت للقاء ربك غداً، فهل انشغلت بغير هذا اللقاء.

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨].

ففي الآية الأمر بصحبة الأخيار ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم وملازمتهم، ففي صحبة أهل الطاعة فوائد ومنح في الدنيا والآخرة، ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ لا تصرف بصرك عن أهل الطاعة والإيمان فاحذر أن تجاوزهم ببصرك إلى غيرهم. ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فالدنيا مُزيّنة وإنها لتروق للناظرين وتسحر القلوب فمن وقع في أسرها لغفل عن ذكر ربه تعالى فتراه مقبلاً على الملذات والشهوات فينفرط عند ذلك أمره ويضيع وقته.

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

فلأفتش في رفقائي فلا مصاحبة إلاّ لأهل الإيمان والطاعة فإني لا أجد منهم إلا كل خير، بل وإنهم والله ليرشدوني إلى كل خير.

فتعلمت توطين النفس على الصبر خاصة على رفقة الصحبة الصالحة مع اليقين أن الشيطان سيحاول محاولات مضنية على إفساد هذه العلاقة، ولكن الصبر على هذه الصحبة؛ لأنه لا سبيل لقطع الطريق إلى الجنة إلاّ من خلال هذه الصحبة المؤمنة وتعلمتُ أن أغمض عيني عن الدنيا، وما ازَّيَّنت به فكأنها ظهرت في صورة حسنة ولكنها تخفي صورتها القبيحة، وعلمتني أن أحذر من النظر إلى الذين انشغلوا بدنياهم عن طلب الآخرة، وعلمتني أن أقول للدنيا أنك مهما ازَّيَّنتِ يا دنيا فأنا أراكِ من وراء زينتكِ، فغري غيري فإليك عني.

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠) ﴾

[مريم: ٣٩، ٤٠].

فهم في الدنيا في غفلة عن هذا الأمر العظيم الذي لا يخطر بقلوبهم، فلقد عمتهم الغفلة وشغلتهم الدنيا وشملتهم السكرة، فهم لا يؤمنون بالله ولا يتبعون رسله.

قد ألهتهم دنياهم ﴿ لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) ﴾

[يونس:٧، ٨].

وشهواتهم حالت بينهم وبين الإيمان، ألا يعلمون أن الله يرث الأرض ومن عليها، فهذه دنيا فانية وشهوات منقضية فانية زائلة ليست بباقية.

يوم الحسرة: ﴿ قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٣٢) ﴾ [الأنعام: ٣١، ٣٢]، ويقول سبحانه: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٦].

لا نملك إلاّ أن نقول: ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٠) ﴾ [يس: ٣٠].

أين المفر؟ أين تذهبون؟ إلى الله مرجعكم جميعًا.

هل تظن أنك مبعوث من بعد الموت؟

وهل تظن أنك ملاق ما أنت فاعل في الدنيا؟

وهل تظن أنك موقوف مسؤول عن عمرك فيما أفنيته؟

فلماذا لا تعمل؟ فلِمَا كان التقاعس ؟

فماذا أعددت للقاء ربك غداً؟

ماذا تقول لربك عندما تقف بين يديه ليس بينك وبينه ترجمان؟

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

علّمتني كيف أرى يوم القيامة وكيف أرى الحسرة والندامة على وجوه العصاة والمكذبين، وكيف أرى هذه الوجوه الكالحة التي أرهقتها الذنوب والمعاصي.

فكان معلم هذه الآية أن أصحح التصورات عن اليوم الآخر مع تصوير هذه المشاهد في قلبي، وكأني أراها رأي عين وأرى هذه الحسرة من خلال ما فقدنا من لحظات لم نعمرها بطاعة الله، فهي لحظات افتلتت لا عودة لها ولقد خطفت منا في غفلة فترى القلب وقد اعتصر أسفًا على تفلت هذه اللحظات، فكان أثر ذلك في الجد والاجتهاد في استقبالي لما هو آت من لحظات العمر المقبلة تعويضًا لما سبق وتعميراً لما هو آت مما بقى من أعمارنا فقد مضى وقت الغفلة واللعب.

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (٧٣) ﴾ [طه: ٧٠ - ٧٣]

الخضوع للحق والعاقبة للمتقين، ظهور الحق وسطوعه وإبطال الباطل والمكر والكيد، وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، والموازنة بين الدنيا والآخرة وبين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

كيف يرى المؤمن الدنيا؟ وكيف يتعامل مع السنن الكونية؟

لمن يكون البقاء وعلى من يكون الفناء؟!

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

حلاوة الإيمان وتذوق طعمه، وهذا الأثر البالغ في معالجة الأمور، فليس لشيء أثر في تغيير النفوس كالإيمان إذا تمكن من القلب، فإن الخوف ينزع من القلب إذا تمكن الإيمان في القلب، وصدق اليقين أن الدنيا إلى انقضاء ورغبة الإنسان الأكيدة فيما عند الله وأنه لا ينال إلا بطاعته، وعدم تخلي الإنسان عن دينه حتى لو كان مقابل ذلك فقدانه للدنيا ومفارقة الأهل والأولاد والأموال والديار، فلا يرضى بربه وجواره بديلاً.

فعلمتني هذه الآية أن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، وإذا ذاق القلب طعم الإيمان لهانت الدنيا، فلا وزن لها ولا قيمة لها أمام ما يجد الإنسان من حلاوة وسعادة لا انقطاع لها.

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

كيف بكم عندما تعرضون على الملك الحكم العدل الذي حرم الظلم على نفسه، فربك يقضي بين عباده يوم القيامة بالقسط لا ظلم اليوم.

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩].

والمؤمن مطمئن فما عند الله لا يضيع، فإنه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ويقول الله تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلاَّ نفسه**».

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

ميزاني لا يفارقني، أزنُ قولي، أزنُ فعلي، أزنُ حركاتي، أزنُ همساتي، أزنُ أحوالي، زنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، فلا كلام ولا أفعال بلا ميزان.

فتعلمت من هذه الآية أنني قبل أن أُطلق إلى القول أو الفعل أضع ذلك أولاً في الميزان.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج: ١١].

لا سبيل إلاّ بإدخال الإيمان للقلوب ومخالطة الإيمان للقلب وامتزاجه به، لابد من التعرف على ما كتب الله علينا من الابتلاء والحكمة من الابتلاء وتوطين النفس وكيف أحقق العبودية لله من خلال ما قدرّ عليّ.

وفساد المعيار يكون نتيجة لفساد الاعتقاد، يقول تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴾ [الفجر: ١٥ – ١٧].

علامة هذه الآية في طريقي في الحياة:

التعرف على السنن الكونية، ومن الظن الخاطئ مقياس سخط الرب ورضاه بعطايا الدنيا، ومعدن الإنسان لا يظهر إلاّ من خلال الابتلاء وكيفية تصرفه في الابتلاء وتوطين النفس على تحمل المكروه وأنني عبدٌ لله في الرخاء والشدة، في الصحة والمرض، في الفقر والغنى.

فتعلّمتُ أنّ الإيمان ينبغي أن يمتزج بقلبي، وأن يتعرف قلبي على سنن ربي الكونية، وتوطين نفسي أن أتعامل مع قدر ربي بالرضا والتسليم.